

(- / -)

(// //)

. فقد كيان الدولة المركزية الجديدة في بغداد أجزاء كبيرة من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وكذلك الأندلس، وسوف يدرس الباحث سياسات الدولة العباسية في الأجزاء التي بقيت في يدها وجهودها في المحافظة على هذه المناطق، وكيف تطورت علاقة الدولة العباسية بالأسر العربية التي حكمت إفريقية والمغرب تحت المظلة العباسية، وأسباب فشل تلك الأسر في الاستمرار في حكم إفريقية وشرق المغرب الأوسط. ولن يتطرق البحث إلى الدويلات التي لم تكن تدين بالولاء المباشر للخليفة العباسي، مثل الدارسة ودويلات الخوارج والمشيوخ البربرية، إلا بقدر علاقاتها مع ولاية إفريقية، قبل الأغلبة وبعد قيام دولتهم، وليس مع الخلافة العباسية.

كما يناقش الأسباب والظروف التي أدت إلى نجاح الدولة، أخيراً، في تنصيب كيان موال لها في إفريقية وشرق المغرب الأوسط، بعد عدة محاولات فاشلة كان الهدف منها تأمين ما يمكن تأمينه من الجناح الغربي من الدولة، وتدعيمه بكيانات قوية تستطيع الوقوف في مواجهة الأخطار المحدقة بالدولة العباسية كالأدارسة والخوارج وبني أمية في الأندلس، كما سيدرس الباحث ظاهرة حرص الدولة العباسية على تقوية الولاية على حساب السلطة المركزية، وأهدافها من ذلك. ثم يتعرض الباحث لما يتردد في بعض المصادر من إتفاق مبرم بين الخليفة العباسي، وإبراهيم بن الأغلب، يلتزم فيه الأخير بشروط معينة، مقابل توليه ولاية إفريقية وأجزاء من المغرب، وتوارث أسرته الحكم فيها. وسوف يوضح الباحث الملابسات التي أحاطت بقيام إمارة الأغلبة وكيف تحولت إلى إرث لبني الأغلب، ثم أهداف الأغلبة من وراء التعلق بذلك الاتفاق المزعوم، حتى أواخر أيام دولتهم وأخيراً يستعرض الباحث العلاقة بين العباسيين

عبد الله بن علي الزيدان

والأغلبية منذ قيام الإمارة الأغلبية حتى سقوطها محاولا استقراء تأثير اللبنة المبكرة لتلك العلاقة على مجرياتها خلال القرن الثالث الهجري. كما سيتعرض البحث إلى قيام الأغلبية بتنفيذ سياسات الدولة العباسية في المنطقة وحماية حدودها الغربية من أخطار أعدائها المتربصين.

كانت سلطة بني العباس على إفريقية والمغرب الأوسط مثل سلطة بني أمية عند إلتياث أمورها سلطة واهية، فقد رضي العباسيون بالوالي الذي كان قد أقره بنو أمية سنة ١٢٧هـ/٧٤٤ م، دون اقتناع حقيقي والسبب هو خوف الطرفين من نتائج محاولة زعزعته على مستقبل الوجود العربي في المنطقة خاصة بعد النجاحات التي أحرزها ضد الخوارج وأمراء البربر وثور العرب. ولكن ذلك القبول كان على مضمض، فلم تكد الدولة العباسية تتنفس الصعداء وتقضي على بعض المناوئين لها في المشرق حتى التفتت إلى عبدالرحمن بن حبيب في محاولة لتصحيح مساره، وضبط تعامله مع السلطة المركزية، ولكن الاستقلال الذي تمتع به ردحا من الزمن صعب عليه أن يتنازل عنه بتلك السهولة وصار واضحا أنه والخليفة العباسي يتجها نحو مواجهة لم يكن كل منهما مستعدا لها وخاصة الأخير. وكانت العواقب وخيمة على إفريقية وخاصة القيروان ووقع ما كانت تحذر منه الخلافة سواء الأموية أو العباسية، وسقطت القيروان؛ نتيجة للصراع الأسري بين الفهريين لقمة سائغة في أفواه البربر الذين فعلوا بها الأفاعيل ونكلوا بأهلها وربطوا دوابهم داخل جامع عقبة بن نافع. ولم يخفف هذا الوضع تدخل دولة من دول الخوارج ناشئة مركزها طرابلس في صالح أهل القيروان واستنقاذ إمام تلك الدولة للقيروان من براثن الصفرية في سنة ١٤١هـ/٧٥٨ م. إذ إن الخلافة كانت قد حزمت أمرها وعزمت على إرسال جيش يعيد البلاد إلى الحكم العباسي ويعيد للخلافة هيبتها التي تضععت بسبب ما حدث لرعاياها في إفريقية من ويلات وفتن. أرسلت الدولة محمد بن الأشعث والي مصر سنة ١٤٣هـ/٧٦٠ م، بعد حملة

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب

استطلاعية منيت بالفش^(١) وأمدته بالمال والرجال، واعطته تفويضا كاملا بالتصرف مع الثوار والمنتزعين في البلاد المغربية. وقد استطاع بمهارة فائقة وبالمراوغة والدسائس والمكر أن يقضي على قوة خوارج البربر ليس في إفريقية فحسب بل في مركزهم الأصلي، في جبل نفوسة، وفي مدينة طرابلس مركز إمامة أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري^(٢) الذي حاول بإمامته هذه أن يبعث الكيان القديم الذي أسسه كل من الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن سمي المرادي^(٣) والذي قضى عليه عبدالرحمن بن حبيب الفهري عندما كان في أوج قوته. وكان القضاء على قوة البربر في سنة ١٤٤هـ/٧٦١م في معركة تاورغا^(٤).

رجع الحكم المركزي المباشر لإفريقية بعد أن حكمها الفهريون زهاء ثلاث عشرة سنة دون تدخل يذكر من الدولة المركزية، وبدأت حقبة من الحكم المباشر من قبل الدولة العباسية بعد انتصار وإليها محمد بن الأشعث علي الخوارج، وحاولت ترسيخ إقدامها في ما بقي تحت حكمها من المغرب، وكان من أول ما قام به الوالي الجديد بناء سور حول

()

(.) ()

()

()

()

"

"

عبد الله بن علي الزيدان

القيروان وهو أول سور تحاط به هذه المدينة^(٥)، وهذا يدل على الدرجة التي بلغها عدم استقرار الحكم العباسي في المغرب. كما وجدت الدولة أن الظروف ليست مواتية للقيام بأعمال عسكرية ضد الخوارج و مشائخ البربر، خاصة مع تركيبة الجيش العباسي وميل قاداته إلى التمرد، وكان أول ضحايا ذلك التمرد محمد بن الأشعث نفسه، الذي ثار عليه الجند، وأجبروه على التوجه إلى المشرق، وتعاقب على الولاية مجموعة من القادة العسكرية دون عهد من الخليفة، حتى عين الأغلّب بن سالم التميمي^(٦) الذي كان الضحية الثانية لتمرد الجند الخرسانية، الذين رفضوا تعقب الأمير الخارجي أبي قرّة الصفري^(٧)، وعندما صمم الأغلّب على تعقبه تولوا عنه، وانضموا إلى والي تونس الحسن بن حرب الكندي^(٨)، الذي بادر بالثورة على الأغلّب، وانتهى الصراع بينهما بقتل الأغلّب، ثم قتل الحسن

()

/ () /

()

()

":

"

:

(- :)

()

(:) .

()

(- :) .

(:)

:

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب

على يد الجيش العباسي، وقادته المواليين للأغلب والذين هم في جملتهم أقاربه، ورفاقه في السلاح^(٩).

لقد حتمت عناصر الشغب الداخلية وعناصر الخطر الخارجية حلا جذريا لمشكلة الولاية في إفريقية وما بقي من المغرب في يد الدولة العباسية. ولم يأت اختيار الأغلب بن سالم التميمي من فراغ، ولم يكن ذلك لصفاته الشخصية فحسب، ولم يكن الوحيد من بين زملائه القادر على قيادة السفينة العباسية في خضم بحر المغرب المتلاطم، لكنه بلا شك هو صاحب العصية القوية بإفريقية، خاصة أفراد أسرته الذين كان بإمكانه الاعتماد على دعمهم وقت الشدة ضد المناوئين من عناصر الجيش العباسي الخرساني(المسودة)^(١٠).

لقد كانت ولاية الأغلب، ومن جاء بعده، فترة انتقال بين الإمارة الفهرية والأزدية. والسؤال الذي يمكن طرحه الآن هو:

ما القاسم المشترك بين الأسرتين الفهرية والأزدية ؟

إن قبول الدولة العباسية عند قيامها بحكم عبد الرحمن بن حبيب بالإضافة إلى اتعاظ العباسيين بما حدث لبني أمية في المغرب فتح عيون الدولة على المميزات الاستراتيجية التي تجنيها من جراء تنصيب أسرة حاكمة تتمتع بتأييد السكان في إفريقية [أي الحكم بالوكالة] وقد كانت هذه سياسة الدولة العباسية فيما بعد في اليمن وخراسان وغيرها . ويبدو أن العباسيين استنتجوا من التجربة الأموية ومن تجربتهم الخاصة، أن التعيين المباشر للولاية من المركز يتبعه في الغالب فترة من عدم الاستقرار سرعان ما تنتهزها القوي المعادية أو المعارضة، فتطيح بالوالي الجديد قبل أن يرسخ قاعدته الشعبية، وتنفذ بذلك جبهة على الدولة المركزية من الفتن هي في غنى عنها.

(:)

(:)

(:)

عبد الله بن علي الزيدان

وبناء على ذلك طبقت الدولة العباسية سياستها في خلق مراكز قوى في الأقاليم النائية التابعة لها في إفريقية قبل أي إقليم آخر اعتباراً من سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م. وعندما ثار الخوارج بقيادة أبي قرة الإفريقي أمير تلمسان وحاصروا والي الدولة العباسية في إفريقية والمغرب عمر بن حفص بن قبيصة [المهلبى^(١١)]. أولاً في طبنة عاصمة الزاب^(١٢)، ثم حصروه بعد ذلك مدة أطول في عاصمته القيروان، أرسل إليه الخليفة المنصور يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي، قريب عمر بن حفص، عندما قرر استعادة إفريقية من الخوارج الإباضية، وإنجاد الأخير، وإخراجه من الحصار. ولعل تعيين عمر بن حفص - في الأساس - وإرساله من المشرق على رأس خمسمائة فارس فقط إلى إفريقية، وعدم تعيين أحد من القادة المرابطين في المنطقة يدل على رغبة الخلافة في بناء عصبية للأزد في المنطقة سيما وأن عمر بن حفص كان والياً على السند، وأثبت كفاءة في إدارتها. ويؤيد ذلك أيضاً إرسال يزيد بن حاتم وتثبيت الولاة الذين ورثوه في الحكم^(١٣) ثم تدعيم العصبية الأزدية في إفريقية بقائد فذ، وإداري متمرس آخر، هو روح بن حاتم شقيق يزيد الذي بدأ حكمه سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، بعد وفاة يزيد.

()

:

/

()

:

()

:

A. A. Al-Zaidan , *The People of Kairawan* : The population composition of a Maghribi city ,Unpublished Ph. D. Theses ,Leeds University ,England, 1978. vol.2,483.

إن اختيار الخليفة أبي جعفر لي زيد لم يكن مصادفة؛ ذكر ابن الأبار: "ثم استقدمه - بعد قتل عمر بن حفص بن قبيصة - فولاه إفريقية والمغرب وشيعة إلى فلسطين". ويبدو أن الخليفة أوجس خيفة من يزيد بن حاتم عندما قام بتشيعه وتوذيعة إلى فلسطين، بالرغم من أنه كان قد ولاه ولاية مصر ثم إفريقية والمغرب وقبلهما ولايات عديدة. استمع إلى المنصور وهو يقول: "ما أخطأت في شيء من تدييري إلا في ثلاثة أشياء"، وذكر منها: "تشيع يزيد بن حاتم... رأيت لو نكث، أكان يحسن بي أن أرجع، أو كان يحسن بي أن ألقى الجيش بنفسي" فتعيين يزيد ابن كان لقرابته لعمر بن حفص، وكذلك لخصاله القيادية التي جعلت الأمراء والرؤساء العباسيين يحسدونه على تقريب المنصور له يذكر الرقيق، قال يزيد لا ولاني المغرب انتهى في تشييعي إلى فلسطين محسدي أقوام منهم شبيب بن شيبه بن عقال^(١٤)، ورفع إليه (المنصور) شبيب بن شيبه بن عقال كتابا لم يأل فيه من الحمل عليّ والذكر لمساوئي، وتخويفه الغوائل... إلخ"^(١٥): وكان حكم يزيد هو البداية الحقيقية لإمارة الأزدي شبه المستقلة التي حكمت سبعا وعشرين سنة إذا أدخلنا فترة عمر بن حفص في الحساب (١٥١-١٧٨هـ/٨٦٨-٧٩٤م).

()

(:)

()

(:)

(:)

()

()

عبد الله بن علي الزيدان

بدأ حكم روح بن حاتم شقيق يزيد بوصية الرشيد له^(١٦) سنة ١٧١هـ/٧٨٧م. وكان روح، قبل ذلك، والياً علي السند، قال الرشيد: "أعرف أن له (أي يزيد) صنائع بالمغرب، ولا أمن عليهم متى وليت غيرك، ولكن أخرج من فورك إلى إفريقية، وحط صنائعه" ثم قال: "عليك بالزاب أملاًه خيلاً ورجلاً^(١٧). والزاب كما نعرف هي الحد الفاصل بين إفريقية والمغرب الأوسط ولعل الرشيد كان قلقاً من الخوارج وربما بدرجة أكبر من الأدارسة الذين بدأت دولتهم في هذا الوقت بالذات.

كان زوال الإمارة الأزدية نتيجة مباشرة لسياسة الفضل بن روح الذي نصبه الرشيد بعد نصر بن حبيب المهلبي أميراً على إفريقية، فقد أساء التعامل مع الجند الخرسانية فنقص أعطياتهم ومخصصاتهم التي كان من سببه من الولاة يعطونها لهم وهي الأسلاف^(١٨) كما ولي الفضل مدينة تونس - وهي صنو القيروان^(١٩) - شاب غر هو ابن أخيه المغيرة بن بشر فأساء السيرة في الجند وقادتهم وأوغر صدورهم المليئة أصلاً على الفضل، ثم أنه قرب بقايا الجند الشامي وحاول الاستقلال التام عن الدولة وقد ثار عليه أحد القادة الخرسانية وهو عبد الله بن عبد ربه بن الجارود العبيدي الملقب بعبدويه، فثار على الفضل، وانتهى الأمر بمصرع الفضل، وبعد انتهاء الفتنة لم يتردد الخليفة في العفو عن ابن الجارود وكبار رجاله^(٢٠).

() (:) .

() :

/ / .

:"

() (:) :

() (:) .

()

" - - "

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب

ولعل الدولة كانت قد أوجست خيفة من نوايا الفضل لا سيما وأن البربر كانوا يؤيدونه، كما أننا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن الفضل بن روح حاول استقطاب جميع القوى المحلية المبغضة للعباسيين واستعدادها ضد الجند الخرسانية التي كانت تتمنى التخلص من سيطرتها وتحكمها بالولاية فبدأ بتجريد قادة المسودة من امتيازاتهم وكان يسانده في ذلك البربر وجند العرب من أهل الشام مثل جند حمص بقيادة مالك بن المنذر الكلبي والي ميله^(٢١).

مثل مجيء الأغلبة للسلطة في إفريقية والأجزاء الشرقية من المغرب الأوسط قمة نجاح سياسة الدولة العباسية في الاحتفاظ بأجزاء مهمة من المغرب، رغم التحديات التي واجهتها ممثلة في تمرد الجند وثورات البربر، وعصيان العرب المستوطنين (البلديين) للسلطة المركزية، وما يمثله ذلك من ممارسات، بالنسبة للدولة العباسية، لاتطاق. لقد حرص الرشيد عندما عين إبراهيم بن الأغلب واليا على إفريقية في جمادى الآخرة ١٨٤هـ/٨٠٠م على أن يربط ذلك بالبلاء الحسن الذي قاسته أسرة الأغلبية في خدمة بني العباس فذكر لإبراهيم في خطاب التولية: "قد تقدم لكم بإفريقية أمر"^(٢٢) فكان الرشيد يبرر توليته لإبراهيم بأن والده الأغلب بن سالم كان واليا لإفريقية، وأنه بذلك يكون أهلا للولاية. لكن الحقيقة هي أن المسوغ الذي جعل الرشيد يولي إبراهيم هو نفس المسوغ الذي اختار المنصور على أساسه الأغلب بن سالم ألا وهو عنصر العصبية القبلية التي تؤيد إبراهيم والتي دعمته في ولايته للزاب، التي بدأت

() (: -) :

() (:) .

عبد الله بن علي الزيدان

في عهد محمد بن مقاتل العكي، والتي دعمته أيضا في تصديه للشوار على الوالي الشرعي، خاصة ضد تمام بن تميم ذلك الثائر التميمي الذي ينتمي إلى حامية مدينة تونس وإلى الجند الخرسانية. فقد أحبط إبراهيم محاولة تمام أخذ القيروان، نصرة للوالي الشرعي وتقربا للخليفة العباسي، و أعاد محمد بن مقاتل العكي إلى السلطة، ثم هب لنجدته مرة أخرى ضد محاولة تمام قائد حامية تونس الثانية لاغتصاب الإمارة، وكان يصحب إبراهيم في حملته ضد تمام سبعين فارسا من أهل بيته^(٣٣). وقد وهم بعض الكتاب وظن أن إبراهيم استعاد القيروان بهذا العدد، وهذا لا يصح إلا بالنسبة لمن يحاولون إضفاء الصفاة الخارقة للأمير الأغلب الأول.

كللت جهود إبراهيم في الانتصار لوالي الخليفة الشرعي بأن كافاه الرشيد بتعيينه واليا على إفريقية، بل أن بعض الروايات تذكر أن الخليفة أطلق يده في الإمارة وأعطاه استقلالا ذاتيا عن الخلافة مقابل دفعه مبلغا سنويا لخزينة الخلافة قدرته بعض المصادر بأربعين ألف دينار^(٣٤). ولعل هذه الإشارات، بالرغم من تشكيكنا فيها، تتوج الاتجاه العباسي اللامركزي الذي حاولت الخلافة تطبيقه في الماضي دون نتائج مشجعة.

() (:)

/ ()

(:)

:

/

(,)

()

()

على أن معالم سلطة الأمير إبراهيم بن الأغلب لم تتضح؛ لأن الخلفاء العباسيين مازالوا أقوىاء فاستمروا يرسلون رسائل التوجيه إلى إبراهيم. كما أن القضاء ظل لفترة محدودة مرتبطا ببغداد وانتهى ارتباطه ببغداد بوفاة القاضي عبد الله بن غانم الرعيني^(٣٥). ويمكن اعتبار تنصيب إبراهيم بن الأغلب على إمارة إفريقية قمة نجاح الدولة العباسية حيث كان غربي الدولة الإسلامية تتنازع أهواء الثوار والمنتزعين من خوارج وعلويين وأمويين وبلديين وناقمين ثائرين، ويدخل ضمن ذلك جند الدولة نفسها، الذين تراكموا في إفريقية والمغرب على مر الأيام، والمنتسبين إلى تحالفات قبلية ومذهبية متضاربة، والذين كانت ثوراتهم تضع الولاية أو الثغر في كل مرة على شفير الضياع.

أما القول بأن الرشيد عين إبراهيم بن الأغلب والي (أمير)

استكفاء من

البداية^(٣٦). وأن اتفاقا أبرم بين الخليفة الرشيد وبين إبراهيم فلعله لا يصح والظاهر أن مصدره ابن الرقيق الذي كان ينقل عنه ابن الأثير وغيره أخبار إفريقية كما ثبت لدينا عند تحقيق كتاب: تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق^(٣٧)؛ وذلك للأسباب التالية:

١ - استمر الخليفة على اتصال بإبراهيم بن الأغلب عن طريق

صاحب البريد يستقبل تقارير الولاية منه ومن القاضي وقد جعل الرشيد من القاضي جهازاً؛ لمراقبة إبراهيم، وهذا هو الذي فهمه المؤرخون من قول الرشيد لإبراهيم: "وأنا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك إلي كتاب

() (:)

() (:) - (:) (:)

()

عبد الله بن علي الزيدان

ابن غانم^(٢٨).

٢- استمر وجود رسول الخليفة الذي ربما كان هو صاحب البريد

في الأيام الخوالي^(٢٩).

٣- أن الرشيد كان يهب لنجدة الأغلبة كلما أحاطت بهم الأخطار.

فخلال ثورة عمران بن مجد أُرسل الخليفة الأموال من بغداد والنجيدات من مصر^(٣٠)، وقد استنجد الأغلبة بالخلافة مراراً وتكراراً.

٤- استمر الأغلبة ينسبون أعمالهم العسكرية والمعمارية إلى

الخليفة العباس^(٣١).

٥- قول إبراهيم بن الأغلب لخاله معد بن عقال: "والله ما حكمنا

حتى مات ابن غانم^(٣٢).

٦- إن المهالبة وقبلهم الفهريون كانوا يولون الأمراء ثم يطلبون

مصادقة الخليفة عليهم بإقرارهم عندما كانت الدولة قوية، ولكن استقلال

الأغلبة - من بداية القرن الثالث - كان نتيجة لضعف العباسيين

() (:) .

" " " ()

: " " " "

:

(: -) /

(: -) (: -) ()

:

/

(:) .

(:) /

97Houdas o. and Basset: Epigraphie Tunisienne, *terage a Pull. Corresp. Afr.* 1882, (172), ()

(:) ()

وانصرفهم لأمر الجناح الشرقي من الدولة. ولذلك رضوا من الأغالبة بالحد الأدنى من الولاء.

٧ - إن القلاقل والمحن التي قامت في وجه الأغالبة والتحديات التي

كانت تهدف إلى النيل من شرعية حكمهم للبلاد جعلتهم - في نظر الباحث- يبحثون عن سند شرعي وقد اهتموا إلى إشاعة وجود ذلك الاتفاق الذي لا يمكن أن يغيب عن المأمون الذي أراد أن يضم إفريقية إلى ولاية مصر كما كانت في الأيام الخوالي^(٣٣).

٨ - وبما أن ولاية إفريقية جزء من الدولة العباسية فلا بد لها من

إثبات ولائها خاصة عندما كانت الدولة العباسية قوية أو عندما كانت الإمارة الأغلبية تعاني من الفتن والقلاقل. وكان المبلغ الذي ذكره المؤرخون هو إثبات الولاء الذي يقدمه أمراء بني الأغلب. كما يحاول البعض إيراد مبلغ ١٠٠,٠٠٠ ألف دينار وهي النقود التي وفرتها الدولة العباسية ولم تعد بحاجة إلى دعم إفريقية والمغرب بها^(٣٤). والواقع أن هذا كذلك يمكن أن يوجد له تفسير منطقي فعندما عجزت الدولة العباسية عن إدارة إقليم إفريقية والمغرب البعيد تركت إدارته الماليه للأغالبة وكانت في الماضي تقوم هي بجباية الخراج والعشور والقبالات^(٣٥) وغيرها، ثم يعود جزد كبير من الأموال على هيئة ذلك المبلغ

() (:) .

() (:)

()

عبد الله بن علي الزيدان

الضخم الذي يعبر عن المنصرفات وهي مرتبات الموظفين والجند والخدمات عموماً. أما المبلغ الذي بين الإيرادات والمنصرفات فهو الذي كان يبقى للدولة المركزية فتنازلت عن جميع ذلك؛ لأسباب تنظيمية وقنعت بالولاء من الأغلبية وما يصاحبه من مبلغ مالي ثابت يدل على الولاء. أما مسألة الاتفاق التي ذكرها بعض الدارسين^(٣٦) الموضوع ووردت في بعض المصادر فإنها غير محتملة فإبراهيم بن الأغلب بذل جهوداً مضيئة في إقناع الخليفة بأنه الرجل المناسب لإفريقية وأنه تغير منذ ترك مصر إلى إفريقية ويستبعد أن يتجرأ على أن يفاوض الخليفة على مبلغ مالي معين أو أن يشعر الخليفة بأي نوع من الندية. والأمر كله تطور تدريجياً ساعد عليه الصراع الذي دب بين أبناء الرشيد وفترة الخلو السلطوي في بغداد، وعندما فكرت الدولة العباسية باستعادة سلطتها على المغرب وجدت أن الوقت غير مناسب، وأن الأمور هناك تجاوزت مرحلة التبعية المباشرة لمصر أو لغيرها وأن أهل إفريقية قد رضوا بالترتيبات التي تطور إليها الوضع. ثم إن تغلغل المذهب المالكي المعادي للاعتزال، في إفريقية، جعل محاولة إعادتها لسلطة الخلافة المباشرة أو إلى مصر مغامرة غير مضمونة العواقب ويكفي أهل إفريقية أن الأغلبية وحاشيتهم استمروا في اتباع مذهب أهل العراق، وهو مذهب أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي^(٣٧).

وأخيراً فمن أسباب تعيين إبراهيم بن الأغلب انحسار المد الكلبي الذي كان سائداً في إفريقية حتى مقتل الفضل بن روح الذي بيدوان مقتله سبب نزوحاً للأزد على الخصوص والقبائل اليمانية على العموم، وفتح

() : () -)

() : () :

()

(- :) :

(-) () (-)

الباب على مصراعيه للتحالف المضري الربيعي أن ينجح وأن يفوز برضى الخليفة . وقد كرست ولاية ابن العكي نهوض نجم المضريين فقد كان صاحب البريد الذي كان له دور في تولية إبراهيم ابن الأغلب الإمارة تميميا^(٣٨).

يضاف إلى ما سبق أن ابن العكي كان بالغ القسوة في التعامل مع تمرد الأزدي الذين حاووا العودة إلى مسرح الأحداث. فنرى مصير مرة بن مخلد الأزدي الذي ثار مع بعض الجند العباسيين والكليبيين والبربر القتل على يد ابن مقاتل بعد القضاء على الكثير من أعوانه^(٣٩). ثم نرى أن قائدي أكبر حاميتين عسكريتين للإسلام غرب مصر يقودهما تميميان هما: تمام بن تميم التميمي في تونس وإبراهيم بن الأغلب في طنبه عاصمة الزاب^(٤٠). ولعل المشكلات التي واجهت إبراهيم بن الأغلب تشبه إلى حد كبير تلك التي واجهت الفضل بن روح المهلبي - كما رأينا أعلاه - ولكن الأخير قام بحلها بطريقة مختلفة ضمنت الاستقرار لإفريقية والإستمرار لحكمه وقيام إمارة الأغلبية من جهة وبقاء سلطة بني العباس من جهة ثانية. وقد أثبتت فترة الولاية التي أعقبت مقتل الفضل بن روح صحة سياسة الدولة العباسية فبالرغم من إرسال الدولة جيشها وواليها هرثمة بن أعين الهاشمي لتهدئة الأمور إلا أنه لم يلبث سوى فترة سنتين ونصف اعتذر بعدها وطلب الإعفاء من الخليفة فأعفاه وولاهها محمد بن مقاتل بن حكيم العكي الذي انتهج سياسة لا تختلف كثيرا عن سياسة الفضل بن روح يضاف إليها تحديه لمشاعر الفقهاء باستقباله

() () (:) (: -) :

() :

(:) (:) :

(:) .

()

عبد الله بن علي الزيدان

رسل الدولة الكارولنجية في القيروان وتبادل الهدايا معهم^(٤١) وقد تزعم أهل القيروان في إيداء الاحتجاج العلني البهلول بين راشد الذي جلد وسجن ومات من جراء ذلك^(٤٢).

أغضبت سياسة ابن العكي الناس حتى أن بعضهم قال: "إن الموت أفضل من الحياة تحت حكمه"^(٤٣) وذلك عندما أعادة إلى حكم إفريقية والي الزاب إبراهيم بن الأغلب بعد قيام قائد حامية تونس بالتمرد على ابن العكي وإخراجه إلى طرابلس. لم تياس الدولة العباسية في محاولاتها بناء دولة ذات عصبية قوية تستلم منها حكم إفريقية والزاب وترد عنها عاديات وغوائل الأعداء وتكون مركزا متقدما لها في المغرب وفي جنوب حوض البحر المتوسط، فاختارت إبراهيم بن الأغلب وعصبيته المضربة المتحالفة مع قوى ربيعة التي كان يقودها عمران بن مجالد الربيعي قائد جيش إبراهيم وعندما حاول إبراهيم التخلص من عمران ثار الأخير عليه ولجا إلى معقله الحصين في منطقة الزات حيث تقيم قبيلة ربيعة، وقد قتل عمران بعد عودته إلى القيروان بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب وكان قتله إيذانا بقيا الثورة العارمة التي قادها منصور بن نصر الطنبذي^(٤٤) وكاد أن يقضي على دولة الأغلبية.

لقد تعرض إبراهيم بن الأغلب في مركزه الجديد كأمر لإفريقية، لأول اختبار حقيقي عندما ثار خريش بن عبد الرحمن الكندي أحد أبناء العرب^(٤٥) - وقريب الحسن بن حرب الذي حارب الأغلب بن سالم من

() . Annales Laurissenses in Carolingian Chronicles, Transl. B. W. Holz, Ann Arbor, 1970, pp. 82 ff.;

Danieiel, The Arab and Medieval Europe, Bierut, 1975, pp.51,52.

() (:) .

()

()

":

(:) (- :) .

() (:) (:) :

قبل- وكان يناصره جموع ضخمة من العرب والبربر وقد تصدى لهم عمران بن مجالد الربيعي قائد جيش الأغلبة، وهزم ذلك التحالف العربي(الكلبي) البربري الذي كان يريد إخراج إبراهيم بن الأغلب وعموم المسودة، ويرفض الولاء لبني العباس^(٤٦).
لم تتدخل الدولة في فتنة خريش الكندي؛ لأن إبراهيم قضى عليها دون كثير عناء بواسطة حليفه الربيعي، وقائده المظفر عمران بن مجالد غير أن إبراهيم احتاج لدعم الدولة عندما قام الأخير بالتمرد عليه. لقد أحس عمران أن إبراهيم يتجاهله ويهمش دوره في إدارة الدولة الجديدة، وهو الذي طوع الثائرين والمنتزعين عليه بداية من تمام بن تميم حتى خريش بن عبدالرحمن الكندي. فقام عمران بالتمرد علي إبراهيم والخروج عليه واستولى على القيروان، ونزل بينها وبين قصر إبراهيم [العباسية] واستمرت ثورته عاما كاملا كادت أن تعصف بإبراهيم حتى أنه خندق على نفسه في القصر^(٤٧)، وقد هبت الخلافة لنجدة إبراهيم وأرسلت مبالغ طائلة من المال فدعى إبراهيم الجند لأخذ أعطيائهم: "من كان له اسم في ديوان أمير المؤمنين فليقدم لقبض عطائه"^(٤٨). ففرقوا عن عمران، وحاول جيش إبراهيم تعقبه ولكن إبراهيم طلب من الجيش الكف وهرب عمران إلى الزاب فظل بها حتى توفي إبراهيم.

إن الكتابات الموالية للأغلبية التي تسربت إلى كتابات الرقيق القيرواني مثل روايات عبدالله بن أبي حسان اليحصبي^(٤٩) والوراق^(٥٠) والقيرواني الوكيل^(٥١)

() (:) .

() (:) .

() (:) (:) .

() :

؛
(:) (-)

(:) .

عبد الله بن علي الزيدان

ومؤلفات محمد بن زيادة الله مثل كتابه المفقود "تاريخ الأغالبة"^(٥٢) مملوءة بالتمجيد الإسطوري لإبراهيم بن الأغلب إلى درجة جعلت منه نداً للخليفة العباسي، وجعلت الخليفة العباسي يعين إبراهيم واليا على الزاب، مع أن الزاب لم تكن في يوم من الأيام، ولاية عباسية منفصلة عن إفريقية، تخضع لحكم بغداد المباشر، كما اختلقت له دوراً في اغتيال إدريس بن عبدالله العلوي المزعوم (١٧٥هـ / ٧٩١)، وهذا القول ضرب من المحال وقد انطلق على ابن عذاري وابن الأثير والنويري وغيرهم ممن نقلوا عن الرقيق والأمر الأكيد هو أن إبراهيم تولى ولاية (عمالة) الزاب (احدى عمالات إفريقية) من قبل الوالي العباسي هرثمة بن أعين وقبل ذلك كان مطارداً من قبل السلطة التي كان يسيطر عليها بنو المهلب (١٥١ - ١٧٨هـ / ٧٦٨ - ٧٩٤م)^(٥٣).

ولعل بالإمكان تمييز مصدر ما كتبه ابن الرقيق عن الأغالبة في عدد من المؤلفات المفقودة على رأسها عمدة مؤرخي الفترة، والمؤرخ الرسمي لدولة الأغالبة الأمير الأغلب محمد بن زيادة الله صاحب كتاب "تاريخ بني الأغلب" المذكور، وقد توقفت كتاباته عندما اغتاله إبراهيم الثاني الذي وجد فيه منافسا خطيراً، وأعماله كلها مفقودة ما عدا ما يظهر في مؤلفات الآخرين. ولعل من نافلة القول التسليم بأن كل ما في هذه الكتابات مؤيد للأغالبة. يضاف إلى هذا المؤرخ مؤرخو ورواة الفترة مثل

() ()

:

() -

() .

() (:)

" "

(:) (...) .

(:) ()

(:) ()

ابن الوكيل القيرواني ومحمد بن يوسف الوراق وعبد الله بن ابي حسان وفرات بن محمد وغيرهم من معاصري الأغلبة.
إن الأشعار التي تمجد إبراهيم بن الأغلب والتي وردت في أعمال الرقيق^(٥٤) وابن عذاري^(٥٥) وابن الأبار^(٥٦) هي من قبيل أشعار الملاحم البطولية التي توضع بعد نهاية الأحداث لتمجيد الأبطال الذين يحاول المؤلف أن يلمع صورهم، ويعلي من شأنهم فيها. ولعلها على العموم لا تصح حيث إنها من الشعر الغث الذي يذكر بما يرد في أشعار سيرة الزبير سالم وتغريبة بني هلال وهي بالغة الركافة والصنعة واضحة عليها.
والسؤال الذي يجب طرحه هو: هل كان إبراهيم الأول حاكماً مثالياً كما تصفه الروايات التي شاعت قبل بدأ التدوين التاريخي في إفريقية؟
الواقع أن إبراهيم الأول كان بعيداً عن المثالية فقد أخذ عليه الفقهاء اللجوء إلى وسائل غادرة؛ للقضاء على خصومه مثل استخدام السم^(٥٧)، كما يؤخذ عليه التنطع والافتخار بسفك دماء آل علي بن أبي طالب ومواليهم وحسبه إثم ذلك حتى لو كان مجرد إدعاء. أما ما ذكر الرقيق من أن إبراهيم سار إلى القيروان بسبعين فارساً فقط وفتحها، فهذا ضرب من المحال، حيث إن إبراهيم قاد حامية الزاب التي كانت من أكبر المناطق العسكرية الأغلبية، والتي حرص الخلفاء على ملئها خيلاً ورجالاً^(٥٨) ولكن المسئلة مسئلة تفخيم وتعظيم، واجترار أخبار حدثت قبل فترة ليست بالقصيرة من بداية التدوين التاريخي بإفريقية وتنامت في ظل الدولة الأغلبية التي يعود امرؤها في نسبهم إلى إبراهيم هذا الذي يعدُّ المؤسس الحقيقي للإمارة. وأخذ على إبراهيم التنكر للقادة الذين أوصلوه إلى سدة الحكم وكان لهم

()

() (: -)

() : (: -)

()

(:)

() (:)

عبد الله بن علي الزيدان

الفضل في انتصاراته ومنهم عمران بن مجالد الذي لم يكن راضياً عن إستبداد إبراهيم بالأمر فثار عليه^(٥٩). كما أن مناصرة إبراهيم لمحمد بن مقاتل العكي ضد ثوار مدينة تونس لم يكن يراد بها وجه الله خاصة عندما نعرف تاريخ إبراهيم بن الأغلب ذلك العسكري المغامر الذي قام بالسطو المسلح على خزائن ولاية الدولة العباسية بمصر وخرج منها خائفاً يتربص^(٦٠). وهو كذلك من قال عند وفاة أعظم قضاة إفريقية من قبل بني العباس عبد الله بن غانم: "والله ما ولينا إفريقية ولا أمماً حتى مات" وكان لا يفارق مجلسه ويتقرب له كثيراً^(٦١).

والخلاصة أن إبراهيم كان حتى قبيل وفاته لا يعدو أن يكون والياً عباسياً لا فرق بينه وبين أي وال عباسي حتى دبت الفتنة بين الأمين والمأمون^(٦٢)، ولهت الدولة عن أطرافها القصية ومنها إفريقية والمغرب بالصراع الذي اشتعل أواره بين العراق وخراسان.

ويمكننا القول بأن الدعاية العبيدية الفاطمية استغلت سمعة إبراهيم بن الأغلب التي غذيت بالأساطير في حملتها الدعائية ضد الأغلبية في عهد إبراهيم بن أحمد (الثاني). فقد استغل الكتاب الفاطميون بعض الأعمال التي نسبت لإبراهيم بن أحمد^(٦٣)، في النيل من الإمارة الأغلبية خلال

()

(-) (: -)

() (:)

() (:)

()

(:) /

()

()

()

(:) (:) (- :)

(: -)

الطور الدعائي للحركة الفاطمية في المغرب حتى لو صحت بعض أعمال القسوة التي نسبت إليه ولا يمكن أن تصح كلها حيث ثبت بطلان بعضها، ولا أجد تبريرا لوجود هذا الكم الهائل من الروايات المغرضة عن إبراهيم إلا رغبة المكيئة الدعائية الفاطمية في الإجهاز على دولة الأغالبة دعائيا قبل الإجهاز عليها عسكريا، ولعل هذا ما حدث بالضبط حيث وقف أهل إفريقية - في معظمهم - موقف المتفرج خلال الصراع بين العبيديين والأغالبة^(٦٤)، ثم إن مقارنة إبراهيم بن أحمد (الثاني) بإبراهيم بن الأغلب (الأول) كانت جزءاً من هذه الإستراتيجية الدعائية الموجهة بدرجة أولى إلى الفئات السنية داخل الدولة الأغلبية. وكان أول من ساهم في خلق هذه الصورة البطولية المبالغ بها لإبراهيم، بعد محمد بن زيادة الله - حفيد إبراهيم الأول- المؤرخ أبو القاسم إبراهيم بن إسحاق الرقيق المعروف بالنديم، الذي عاش جزءاً من حياته في الدولة الفاطمية وقضى الشطر الأعظم منها في أيام الدولة الزييرية التي تدين بالمذهب الفاطمي حتى العقود الأولى من القرن الخامس.

ويبدو جليا أن إبراهيم بن الأغلب الذي امتدحه المؤرخون وكتاب الطبقات وأشادوا بصفاته الشخصية من فقه وفصاحة وسياسة حكيمة كان قد عقد العزم على أن يتخذ رضى الخلافة سلما لأطماعه، ولعله وصل إلى اقتناع بأن هذه الطريقة هي أنجع الطرق للنجاح لاسيما وأنه كان قد أتهم بالمشاركة في إحدى حركات تمرد الجند عندما كان في مصر مما أجبره على الهرب إلى إفريقية والمغرب والانخراط في السلك العسكري ثم الإداري هناك^(٦٥) وقد عانى في سنيته الأولى ١٧٢-١٨٧هـ/٧٨٨-٨٠٢م

()

(:) (- :)

(:) (:)

(:) (:)

عبد الله بن علي الزيدان

من تعصب الفضل بن روح وسوء مجاورته عظيم^(٦٦)، ولم يبزغ نجمه إلا بعد الإطاحة ببني المهلب وتولي هرثمة بن أعين ثم محمد بن مقاتل العكي ولاية إفريقية^(٦٧).

توفي إبراهيم بن الأغلب سنة ١٩٦هـ/٨١١م وخلفه ابنه عبدالله، الذي كان واليا على طرابلس، والذي أبلى بلاء حسنا في مقاومة المد الإباضي المتمثل في الدولة الرستمية التي التفت حول الدولة الأغلبية، وهددت الطريق البري إلى المشرق وقد استطاع عقد معاهدة بينه وبين زعماء الجبل^(٦٨) أقر الإباضية فيها بسلطة الأغلبية على طرابلس وأحوازها والساحل.

ويذكر ابن عذاري بأن المأمون أقر عبد الله بن إبراهيم علي الإمارة بعد استخلافه^(٦٩)، ولعل ذلك لا يصح حتى لو كان من قبيل التأييد والتثبيت إذ البيعة قد أخذت لعبدالله بن إبراهيم في القيروان من قبل أخيه الأكبر زيادة الله سنة ١٩٦هـ/٨١١م وهو غائب في طرابلس. كما أن المأمون في هذا الوقت المبكر لم يمارسه مهام الخليفة، ولم يعلن نفسه خليفة فقد بقي

":
"
(:)
(:) ()
(:) (- :) ()
(:) ()
(:) ()
(:) ()

في خراسان مدة ومات أبو العباس قبل قدوم المأمون من مرو^(٧٠) كما أن إفريقية والمغرب بعيدة عن خراسان معقل المأمون في ذلك الوقت والفتنة بينه وبين أهل العراق لم ينته بعد فقد بايعوا عمه إبراهيم بن المهدي فترة من الزمن، ولم تصف للمأمون الخلافة حتى بعد قتل الأمين، وفوزه في الصراع الدامي؛ بسبب بقاءه في خراسان ثم بسبب مسألة الخضر^(٧١).
لم تكن الإشارة السابقة هي الوحيدة التي تسجل محاولة الخلفاء العباسيين التدخل في أمور الأغلبة بطريقة مباشرة فقد طلب المأمون من زيادة الله بن الأغلب أن يدعو لوالي مصر عبد الله بن طاهر بن الحسين. وقد أثار هذا الطلب حفيظة زيادة الله الأول فروي أنه قال: "ابن الفاعلة! يريدني أن أدعو لعبد خزاعة" وتنكف أن يفعل ذلك ورضي المأمون بالأمر الواقع خاصة بعد أن أرسل زيادة الله المبلغ السنوي الذي يرى بعض المؤرخين أن الأغلبة اعتادوا على بعثه لخزينة الخلافة وكانت هذه المرة عبارة عن دنانير مضروبة في فاس عاصمة الأدارسة^(٧٢) كأنه يهدد بها المأمون، وتظهر أهمية العمل الذي يناط بالأغلبة في درء الأخطار التي تهدد بني دولة العباس. ولعل هذا الخبر يدحض نظرية الاتفاق الذي قيل أنه أبرم بين الخليفة هارون الرشيد وإبراهيم بن الأغلب خاصة إذا أخذنا في الاعتبار الآتي:

١ - أن إضمحلال سلطة العباسيين في المغرب - حتى نهاية القرن الثالث - كان أمراً تدريجياً، وكان في معظمه ناتج عن ضعفها واستبداد العناصر الأجنبية في شؤونها وعن عدم اهتمامها بالجناح الغربي من بلاد الخلافة على أنه لا يمكن تحديد تاريخ معين لنشؤ الكيانات البربرية في

()

(:)

()

(: -)

(:)

عبد الله بن علي الزيدان

المغربين الأوسط والأقصى. حتى أن الدولة العباسية ظلت تكابر، وتعتبر تلك البلاد جزءا منها، خاصة وأنه لم يخرج فيهما - في تلك الحقبة - دول تنافس الخلافة أو تفكر في الامتداد ناحية المشرق.

٢ - أن الدولة العباسية ظلت تحتفظ بالسيادة الروحية على معظم

بلاد المغرب ولم يكن الأغلبة وحدهم هم الموالين للدولة. فقد ظهرت نظريات جديدة حول تبعية بعض دول الخوارج الإسمية للدولة العباسية^(٧٣)، ولعل ذلك ضمن تبعية جميع المسلمين لدار الإسلام ورمزها في بغداد.

٣ - إن الدولة العباسية لم تسلم مقاليد الأمور تماما لإبراهيم بن

الأغلب بل عاملته كما فعلت من قبله مع أمراء بني المهلب، ولكن الأوضاع في الدولة العباسية تغيرت وضعفت الدولة بتسلط العناصر الأجنبية عليها مما زاد من سلطة الأغلبة. وقد استمرت الدولة العباسية، خلال ولاية إبراهيم، إصرارها على فصل السلطة القضائية عنه وتتعامل معها مباشرة^(٧٤)، كما ظل رسول الخليفة الذي - يبدو أنه - حل

محل صاحب البريد في إفريقية يتابع الرسائل للخليفة حول الوضع هناك^(٧٥) والخاصة هي أن حكم الأغلبة لإفريقية كان تطوراً تدريجياً قامت فيه الدول بالتخلي عن سلطاتها لأسباب مختلفة؛ نتيجة لسياسة ثابتة تتلخص في تقوية الكيانات الحاجزة وتدعيمها لتظل سندا للدولة ضد الثوار

()

(:)

(!)

()

(:) ()

(:) ()

والطامعين. وقد أثبتت الإمارة الأغلبية أنها جديرة بثقة الخلافة في هذا المجال.

٤ - أن الأغلبة استمروا في ولائهم للدولة العباسية بالرغم من ضعف الأخيرة واستمروا يرسلون الهدايا لها؛ نظرا لكونها مصدر شرعيتهم، وكان بإمكان أمراء الأغلبة الخروج على الدولة العباسية والاستقلال عنها، ولكنهم فضلوا البقاء تابعين لها وعزوا جميع إنجازاتهم للخلفاء. ولعل قصة الاتفاق الذي استمر الأغلبة متمسكين به كرمز لشرعيتهم لم يكن سوى وسيلة اختلقوها للحصول على ما يدعم شرعيتهم في وجه معارضة شديدة من أهل إفريقية ومن أهل البلد ومن جند الدولة العباسية [المسوّدة] ومن معتنقي مذهب مالك وهو المذهب السائد في إفريقية.

والخلاصة أن سياسة بني العباس لاقت نجاحا كبيرا في إفريقية إذ استمر الأغلبة في ولائهم للعباسيين حتى سقوط دولتهم علي يد العبيديين سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، فكانت أخبار فتوحات الأغلبة في صقلية وجزائر البحر المتوسط وإيطاليا تخرج باسم الخليفة العباسي، كما أن بعض النقوش التي تؤرخ للمنشآت الأغلبية تحمل اسم الخليفة العباسي^(٧٦).

ثم إن الأغلبة خلدوا ذكر بني العباس ببناء مدينتين باسم العباسية أحدهما بناها إبراهيم الأولى جنوب شرق القيروان والثانية بناها محمد بن أحمد بن الأغلب على تخوم دولة بني رستم. واستمر الولاء قائما بين أمراء بين الأغلب والخليفة العباس وارتبطت القيروان ببغداد بسفير يذهب باستمرار إلى بغداد؛ لخدمة سياده وفي تنسيق علاقاتهم بالدولة وفي جلب الكفاءات في المجالات العلمية والطبية خاصة بعد تأسيس دار الحكمة بالقيروان^(٧٧). كما استمر على ما يبدو إرسال المبلغ السنوي الذي كان الأغلبة - يزعم أنهم - قد تعهدوا بإرساله منذ أيام الرشيد ونرى آخر

() Houdas o. and Basset, *Epigraphie Tunisienne*, Terage a Pull. Corresp. Afr.1882,(172)97

()

(: -)

عبد الله بن علي الزيدان

أمراء بني الأغلب يرسل ذلك المبلغ بالرغم من ضعف الدولة العباسية وعدم قدرتها على مد يد العون للأغلبية الذين كانوا يوافقون بني عبيد أنذاك^(٧٨).

على أن الموقف الوحيد الذي توترت فيه العلاقات بين الدولة العباسية والأغلبية كان عندما اشتكى أهل تونس استبداد إبراهيم بن أحمد والقسوة التي أخدمت بها تلك الثورة سنة ٢٨١هـ، وما يروى عنه من أعمال بالغة القسوة والظلم، وقد علم إبراهيم من سفيره في بغداد بهذه الشكوى وباستياء الخليفة المعتضد^(٧٩) من إبراهيم فقد قال الخليفة: "عجبا من إبراهيم! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله علي طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك - يقصد محمد بن زيادة الله الثاني المؤرخ والأديب - من رفق بمن ولي عليهم وإحسان" ويروي أن الخليفة طلب من إبراهيم أن يسلم الإمارة إلى محمد المذكور، فسار إبراهيم من وقته قاصدا طرابلس فقتله وصلبه بغيا وحسداً وقتل أولاده وذلك سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م^(٨٠) وهكذا يتبين لنا ضعف الخلافة العباسية وانعدام تأثيرها الفعلي في الأغلبية.

ولعل الأغلبية تذكروا أهمية تأييد الخلافة لشرعية حكمهم عندما أحاطت بهم أخطار الشيعة العبيديين في العقد الأخير من القرن الثالث في

()

()

()

(:)

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب

وقت بلغت فيه الدولة قمة الرخاء المادي والقوة العسكرية وخاصة في البحر.

وعندما أرسل زيادة الله المبلغ السنوي للخليفة المكتفي بالله سك المبلغ، وهو أربعين ألفاً من الدينير، في عشرة آلاف قطعة مربعة الشكل عليها أشعار تؤكد أن زيادة الله سيقوم بهزيمة بني عبيد باسم الخليفة العباسي ونصها كما أوردها كل من صاحب الحلة و ابن عذارى^(٨٦)، الذي يشبهها بالميداليات:

:

يا سائراً نحو الخليفة قل له
بزيادة الله بن عبدالله سيف
أن قد كفاك الله أمرك كله
الله من دون الخليفة سله

:

ما ينبري لك بالشقاق منافق
من لا يري لك طاعة فالله قد
إلا استباح حريمه وأحله
أعماه عن طرق الهدي واضله
وقد حاول الأغلبة التشبه بالعباسيين في أمور كثيرة من ذلك سياسة خلق مناطق عازلة تقيهم وتريحهم من التعامل مع بربر المغرب الأوسط، فدعمت الإمارات والحصون العربية الواقعة في الزاب والتي تسيطر عليها أفخاذ من قبائل عربية من تميم وربيعه وغيرها وهذه الحصون هي مثلاً بلزمة^(٨٧) الأربس ميلة طبنه نقاوس وغيرها. ولقد أدت سياسة إبراهيم بن أحمد الجنونية إلى تحطيم قوة هذه الحصون مما جعل قبيلة كتامة المتحالفة مع الداعي الفاطمي^(٨٨) تنجح في تحطيم الحصون الغربية حيث

() (:) (:)

(:)

() (:) :

()

(:)

عبد الله بن علي الزيدان

تساقطت بيد الكتاميين الشيعة الواحد تلو الآخر^(٨٤) حتى سقط الأربس
الذي آذن سقوطه بالقضاء على الدولة الأغلبية.

()

لعل الذي ينظر بتمعن إلى ما كتبه المحدثون عن علاقة الأغالبة بالدولة العباسية أو سياسة الدولة العباسية تجاه الأغالبة يلاحظ تسليما - من قبل الكتاب المحدثين - بالمتناقضات وقبولا لروايات بالغة الضعف كثيرة التضارب. ويمكن أن نستخلص من البحث النتائج التالية:

١ - أن الكتابات الموالية للأغالبة التي تسربت إلى كتابات الرقيق

الغيرواني مثل روايات عبدالله بن أبي حسان اليحصبي، ومؤلفات محمد بن زيادة الله مثل كتابه المفقود "تاريخ الأغالبة" مملوءة بالتمجيد الإسطوري لإبراهيم بن الأغلب إلى درجة جعلت منه نداً للخليفة العباسي، وجعلت الخليفة العباسي يعين إبراهيم واليا على الزاب، ويجعلون له دورا في اغتيال إدريس بن عبدالله العلوي المزعوم سنة (١٧٥هـ/٧٩١م)، وهذا القول ضرب من المحال وقد انطلق على ابن الأثير وغيره ممن نقلوا عن الرقيق. والأمر الأكيد هو أن إبراهيم تولى ولاية (عمالة) الزاب من قبل الوالي العباسي هرثمة بن أعين. وقبل ذلك كان مطاردا من قبل السلطة في إفريقية التي كان يسيطر عليها بنو المهلب من سنة (١٥١هـ/٨٦٨م) حتى (١٧٨هـ/٧٩٤م).

٢ - أن الأشعار التي تمجد إبراهيم بن الأغلب والتي وردت في كتاب الحلة لابن الأبار هي من قبيل أشعار الملاحم البطولية التي توضع بعد نهاية الأحداث لتمجيد الأبطال الذين يحاول مؤلف هذه الملاحم أن يصنعهم ويعلي من شأنهم، وهي أشعار بالغة الركاكة، والصنعة واضحة فيها.

٣ - فيما كتبه ابن الرقيق عن الأغالبة يمكن أن نميز مصدرين أساسيين . المصدر الأول الكتاب المتعاطفين مع الأغالبة وعمدتهم المؤرخ الأغلبي محمد بن زيادة الله وقد توقفت كتاباته عندما اغتاله إبراهيم الثاني الذي وجد فيه منافسا خطيرا. وكل ما فيها مؤيد للأغالبة تقريبا، أما المصدر الثاني فهو المصدر العبيدي وعلى رأسه النعمان بن محمد وابن الجزار وغيرهما من أتباع العبيديين الذين لم يكن عصر المؤلف بعيدا عنهم. وكانوا في صراع حربي وعقدي مع الأغالبة، وقد حاولوا أن

عبد الله بن علي الزيدان

يسودوا صفحات الأغالبة، وأن ينعتوهم بكل نعت قبيح، خاصة أمراء الأغالبة الذين دخلوا في صراع مع الشيعة العبيديين. ونحن نعرف أن الدعوة الفاطمية تعتمد على الدعاية ضد الخصوم مثلما تعتمد على تنظيم الاتباع تنظيماً بالغ الدقة والسرية.

٤- من خلال ما توافر عن فترة إبراهيم بن الأغلب (الأول) يمكن

لنا أن نرجح بقوة أن الاتفاق المزعوم بينه وبين الخليفة العباسي لم يقع وأن ما حدث بعد أن تولى إبراهيم بن الأغلب الإمارة، كان تطوراً تدريجياً لسياسة العباسيين تجاه الأطراف النائية من الدولة، وتطوراً لإمارة الأغالبة ولموقف الدولة العباسية منها ولأوضاع المغرب على وجه العموم، خاصة وأن الدولة العباسية خلال انتقال السلطة من إبراهيم إلى ابنه عبدالله كانت في حالة تفكك وكانت الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون على أشدها.

٥- كما يتضح أن انحسار المد اليماني (الكلبي) في إفريقية

بإنسحاب آل المهلب وأعاونهم إلى مصر أفسح الطريق أمام قوة جديدة هي قوة القبائل العدنانية النزارية مثل ربيعة وتمثلها هوازن وزعيمها منصور بن نصر الطنبدي وعمران بن مجالد الربيعي ومضر وتمثلها تميم والزعامة الأغلبية. والذي يمكن استنتاجه من هذه الدراسة أن الإمارة الجديدة أو الولاية الجديدة هي عبارة عن مشروع ريعي مضري كان يرأسه من الجانب المضري إبراهيم بن الأغلب ومن الجانب الربيعي عمران بن مجالد قائد الجيش. ولعل محاولة إبراهيم وأولاده من بعده الاستئثار بالسلطة هي السبب في الثورات التي ميزت العقدين الأولين من تاريخ الإمارة التي قام بها عمران أولاً ثم منصور بن نصر أخيراً.

٦- عند ما وصل المأمون إلى بغداد وأراد فرض سيطرته على

الأجزاء النائية من الدولة واجه وضعاً مختلفاً عما كانت الأمور عليه أيام الخليفة الرشيد الذي كان يتدخل أيام إبراهيم في كل صغيرة وكبيرة، ويرسل للقاضي كتاباً كلما أرسل لإبراهيم.

٧- كان الأغالبة متمسكون بالولاء للدولة العباسية يستمدون منها

شرعية حكمهم لإفريقية. وكان الأغالبة يقدمون للخلافة العباسية ولاءً معنوياً لم يتحول إلى نفوذ حقيقي، حتى أن الخليفة العباسي لم يستطع أن

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقية والمغرب

يعزل إبراهيم الثاني عندما ضج أهل تونس من أفعاله القبيحة. ثم إن رد فعل الدولة العباسية على المد العبيدي الشيعي في إفريقية كان معدوما حاشا بعض الخطب الرنانة التي قد تكون من وضع كُتّاب زيادة الله بن الأغب الأخير على لسان المكتفي العباسي وتليت في جامع القيروان وأحدثت عكس ما أراد منها الأمير الأغبلي إذ زادت الناس إرجافا، وكانت تعد بالعون وتذكر أن جيش الخلافة في الطريق. ولعل سبب عدم تدخل الدولة فعليا في الصراع الأغبلي العبيدي ليس فقط ضعف الخلافة العباسية بل ما لاحظته الخليفة من التياث أمور الأغلبة منذ أواخر أيام إبراهيم بن أحمد حتى مجيء زيادة الله الأخير الذي لم يتورع عن قتل أخوته وأعمامه في سبيل البقاء في سدة الإمارة.

عبد الله بن علي الزيدان

**The Abbasid Caliphate Policy Towards
Afriqiyah and The Maghrib
(144-296)**

Dr. Abdullah Ali al-Zaidan

Associate Professor, Department of Hstory, College of Arts
(Received 16/10/1424H; accepted for publication 6/1/1425H)

Abstract.At the outset this study examine the motives of the Abbasids in creatng a satalite state in Afriqiyah and parts of the Middle Maghrib after several abortive attempts, and also the Abbasid unlimited support for their wali (amir) of this state in the face of stiff resistance from the Arab army. The Aghlahids Amirs were loyal to the Abbasids establishment and they served as a puffer state in Afriqiyyah and middle Maghrib carrying out the Abbasids policies towards the Kharijites ,the Idrisids and the Umayyads of Spain. Last but not least the author will deal with the alleged pact reached between the Caliph Harun al-Rashid and Ibrahim b. alAghlab to stibulate the financial relation between autonomous Ibn al-Aghlab and the Caliphate,and the reason behind the Aghlabid attachment to this myth even after the decline of Caliph's authority.

سياسة الدولة العباسية تجاه إفريقيا والمغرب